٣

البيان الأنور

في نقد الروض الأزهر

[الحلقة الثالثة]

من إعداد:

محمد بن عبد الرحمن صالحي الجزائري

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي أظهرَ الحقَّ ورفعَ منارَه، وميزَ به أهلَ السُّنَّةِ عن أهلِ الأهواءِ والانحراف، وجعلَ في كلامِ العلماءِ نورًا يهدي به من يشاء، وفي طريقتِهم عدلاً يُعرف به الصادق من المدّعي. والصلاةُ والسلامُ على من أُرسِلَ بالحكمة والميزان، وعلى آله وصحبِه أولي البصائرِ والإحسان .

أما بعدُ :

فقد عرضنا في الحلقةِ السابقة ما تعامى عنه الشيخ عبد المجيد جمعة في قضية الإجازات من المبتدعة، وبيَّنا أن أصلَ النزاع ليس في فضلِ الإجازة ولا شرفِ السند، ولا في قدرِ أئمةِ نجدٍ – كما حاول أن يوهمَ القارئ – بل في واقعٍ مُستحدَثٍ مؤلم، جُعلت فيه الإجازة جسرًا لتزكية أهل الأهواء، ومطيةً للتقرب من المبتدعة، في انحرافٍ بيّنٍ عن منهج السلف، ومجاوزةٍ صارخةٍ لضوابط العلماء الراسخين .

وفي هذه الحلقة – بإذن الله تعالى – ننتقل إلى وجهٍ آخر من وجوه التلبيس، وقع فيه الشيخ جمعة، وهو تلبيسه لمخالفاته لباسَ الاقتداء، وتزيينه لها بزخرف الانتساب إلى السلف، حيث استند إلى أقوال العلماء وسِيَر الأئمة في غير موضعها، موهمًا أن فعله موافق لهديهم، مع أنه –في الحقيقة– من جنس ما كان يُنكره هو نفسه في غير هذا المقام، كما سيأتي بيانه .

وسنكشف بإذن الله أن هذا المسلك لا يمت إلى منهج السلف بصلة، ولا ينسجم مع القواعد التي طالما قررها الشيخُ وتشدّق بها، بل هو تناقضٌ ظاهر، يدل على اتباع الهوى، والتقلب بحسب الأشخاص والمواقف، لا بحسب الدليل والحق .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الثبات على الحق، والنصح لدينه وعباده، وأن يُجَنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من أهل السنة حقًا، لا ممن يرفعون لافتتها وهم أبعد الناس عنها، إنه سميع مجيب.

مدينة الأربعاء في: ٢٨ من ذي القعدة ١٤٤٦

ثالثا: التلبيس على موضع النزاع، والتشويش بشبهات الاستدلال.

لقد عُلِم بالضرورة أن الباطل لا يقوم بنفسه، وإنما يُقام له سوقٌ بالزخرفة والتزيين، وتُضرب له الأمثال لتستميل قلوب العوام، وتُلبس على أهل الحق، فتُخلط الأوراق وتُقلب الموازين، حتى يُصبح المردود مقبولاً، والمُنكَر محمودًا، والباطل هدًى.

ومنها أن زخرفة القول قد تُخرج الباطل في صورة الحق[1]. فكم من باطلٍ زخرفه أربابه وزيّنوه، حتى راج على عقول أكثر الناس فقبلوه، وهو عند الله وعند أوليائه من أبطل الباطل وأقبحه.

ومن أسباب ذلك ما يقع من ترويج الباطل تحت مسمّيات حقّة، وتزيينه بمصطلحات شرعية، كطلب العلم، أو الرحلة في سبيله، أو العناية بالإسناد، فيُتوسّل بها إلى ما يُناقض أصول أهل السنة، ويُغطّى بها على ما لا يجوز السكوت عليه.

ومن هذا الباب ما ذكره صاحب الروض الأزهر أنه لما سافر لأداء العمرة، انتهز وجوده بمكة والمدينة للقاء بعض الرواة المعروفين بالأسانيد

١- تفسير آيات من القرآن الكريم لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- [ص٩٣].

العالية، تعلّلاً باقتداء أهل الحديث الذين كانوا يرحلون في مواسم العبادات من سائر الأمصار، ليلتقوا بأهل الرواية، طلبًا للعلو في الإسناد.[1]

ولا ريب أن الرحلة في طلب العلم، والعناية بالإسناد العالي، من شعائر أهل السنة، ومفاخر أهل الحديث، غير أن هذا الشرف لا يُنال بمخالفة أصولهم في باب الرواية، ولا يُدرك بالتهاون في شرط العدالة، أو التهوين من خطر البدعة، أو التعلّق بمواسم العبادات لتبرير لقاء من نُقل الاتفاق على ترك الرواية عنه.

وقد صدق نبي الله ﷺ إذ قال: « إِنَّ منَ البيان لَسحرًا»، وعلّق على ذلك صعصعة بن صوحان –وهو من رواة هذا الحديث– بقوله: "صدق نبي الله ﷺ، فالرجُل يكونُ عَلَيْهِ الحقُّ، وَهُوَ أَلْحَنُ بالحُجَج مِنْ صَاحِبِ الحقِّ، فيَسحَرُ القومَ ببيانه، فيَذهَبُ بالحقِّ وَهُوَ عَلَيْهِ"[2].

فهذا الوصف ينطبق على كثير ممن يُلبّس بالبيان، فيسوّغ ما لا يُسوّغ، ويصرف القلوب عن الجادة بحسن العرض، لا بقوة البرهان؛ وما نراه اليوم من تبرير بعضهم لمجالسة أهل الأهواء، وتسويغ القرب منهم بذريعة العلو في

١- قال الشيخ جمعة في الروض الأزهر [حـ٣/ص٣]: وقد علمت أن سفري كان لأداء العمرة فانتهزت وجودي في مكة والمدينة، للقاء بعض الرواة المعروفين بالأسانيد العالية. وذلك اقتداء بأهل الحديث الذين كانوا ينتهزون مواسم العبادات للقاء أهل الحديث ويسمعون منهم. فيأتون من مختلف الأمصار. فيلتقون المشارقة بالمغاربة. والعرب بالعجم. والكوفيين والبصريين بالحجازيين. واليمنيين... إذ قد لا يتأتى لهم ذلك إلا في موسم الحج.

٢- العلل لابن حاتم [١١٧/٦].

الإسناد أو اغتنام مواسم العبادة، هو من هذا الباب، إذ يُقدَّم في صورة مزخرفة، تخدع السامعين، وتُلبس الانحراف لباس الورع.

وليس هذا الذي ننكره اليوم عن الشيخ جمعة – من الجلوس مع أهل الأهواء وملاطفتهم تحت ذرائع العلو في الإسناد ومواسم العبادات – بأمر جديد في بابه، بل هو مما كان هو نفسه يراه زللاً منهجيا، ومزلقًا خطيرًا لا يُقبل معه عذر، ولا تنفع معه توبة، كما كانت عباراته الصارمة تدل على ذلك.

ومن صور توضيح الواضحات، ومحاجّة الشيخ جمعة بأقواله وسوابقه قبل أن تتبدّل مواقفه، قوله المشهور في معرض ردّه على عزّ الدين رمضاني وشلّته من رجال المجلة: "الحمد لله أنني اتهمتُ بتحقيق كتب أهل البدع، ولم أُتّهم أني أزكي أهل البدع ، وأثني عليهم وأنصح بهم، وأني أجالسهم وأصاحبهم، وأجتمع بهم على موائد الذبائح والمشاوي!"[1]، في تعريض واضح بما ثبت عنهم من احتواء للمخالفين ومجالستهم، ومن ذلك –على سبيل المثال– مجلس العشاء الذي جمع عزّ الدين بالجمعوي عابدين بن حنفية بمستغانم سنة ٢٠١٤، وهو المجلس الذي شهد له بن حنفية نفسه أنّ عزّ الدين لما علم بقدومه جاء بنفسه، وقدّمه للحاضرين، وقال الرّمضاني عبارته يومها: "هذه المجالس تزيد في الإيمان"، يثني فيها على بن حنفية[2].

١– انظر في المرفقات [ص٢١].

٢– موقع الإبانة السلفي: لمن يطالب بالدليل على المخالفات المنهجية لرجال الإصلاح.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل لما أخرج عزّ الدين بيانًا بعد أكثر من أربع سنوات يُعلن فيه براءته من ابن حنفية ومن منهج الاحتواء، لم يقبل منه الشيخ جمعة ذلك محتجا بصوتية لابن حنفية[1]، مُعملا عليه قاعدة: من أثنى على مبتدع ألحق به ولا كرامة.

غير أن ما يُلفت النظر ويُثير العجب، أن هذه القواعد الصارمة التي كان يُنزلها على غيره بلا هوادة، لم يلتزم بها حين بدت منه المخالفة، ووقع في عين ما كان يُنكِره.

ونحن إذ نذكر هذه القصة، فليس الغرض الدفاع عن عزّ الدين، إذ قد ثبتت عليه مخالفات منهجية أخرى، لكننا أوردناها لأجل التنبيه على التناقض الواضح الذي وقع فيه الشيخ جمعة، إذ أنكر بالأمس على غيره ما هو واقع فيه اليوم، وشنّع بالأمس على فعلٍ جاء هو بمثله، بل بأشدّ منه، ثم أراد أن يُلبّسه على الناس تحت غطاء الاصطلاحات والمقاصد.

وهكذا، فإن من تأمّل هذه الوقائع علم أن الشيخ عبد المجيد جمعة قد وقع فيما كان يعيبه، وسلك مسلك الاحتواء الذي طالما حذّر منه، واشتد نكيره على أصحابه، وصرّح مرارًا أن من أثنى على المبتدع، أو جلس إليه، أو تلطف معه، فقد ألحق نفسه به، ولا كرامة. وهذه القواعد التي كان يقرّرها بنفسه، كافية للحكم عليه بمثل ما حكم به على غيره، سواء شعر بذلك أو لم يشعر، فإن العبرة بالمآلات، والحق يُعرف بالدليل لا بالرجال.

١- انظر في المرفقات [الصورة: ١/ص٢٢].

وقد زاد هذا المسلك وضوحًا، حين قال الشيخ جمعة: أنه لما رأى في ذلك نفعًا، بثّ اللقاءات على قناته، ليعم الخير، ويصل النفع[1]. كأنّه أراد أن يُسدِل على فعله ستار النفع العام، ويُلبسه حُلّة القَصْد الحسن، ناسِيًا –أو متناسيًا– أن هذا المسلك يصادم أصلاً من أصول السنة، لا تُقبل معه دعوى، ولا تُرقّع فيه مخالفة، إذ أهل السنة لا يفتحون لأهل الأهواء أبواب الظهور، ولا يسوّغون إشاعتهم بين الناس، ولو تحلّوا بكل زينة، وتوشّحوا بكل اصطلاح، فإن الحق لا يُستخرج من باطل، ولا تُنصر السنّة بمن خالفها.

وقد فقه هذا الأصل جهابذة السلف، وحذّروا من التساهل في باب المخالطة والترويج، لما فيه من المفاسد، وكفى بكلام العلامة مُحَمَّد بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى– شاهدًا في هذا الباب، حيث قال:

"فإنَّه إذا انتشر الباطِلُ، أو انتشرت الأهواء المُضِلَّة، أو جاء القولُ المهونُ من الباطل، أو المنتصِر لأهله، أو المُدافع عنهم، أو المحسِّنِ لحالهم، أو المعتذر لهم، فإنه يجب أن يرد على ذلك، نصيحة للأُمة وإظهارًا للحق، وإشفاقًا على الخَلْق من أن يضلوا، وخاصة إذا كان ممن ينظر إليه بمنظر الاقتداء، محسوب على العلم أو على أهل العلم ونحوِ ذلك، فإنّه إذا وقع في

١- الروض الأزهر للشيخ جمعة [حـ٣/ص٦].

الباطلِ وأظهره بين النَّاس وجب أن يرد عليه نصيحةً لِلنَّاس، وإلا كُنتَ غاشًّا لِعامَّةِ المُسلمين .فهذا من الآثار السيئة المُترتبة على هذه المقولةِ، الغش لعامَّة المسلمين بترك الباطل ينتشر بينهم ولا يحذرون منه، وخصوصًا إذا اشتد اِلتباسه كما قلنا".[1]

وهنا يتجلّى وجه الإشكال ويظهر محلّ النكير؛ فإن الشيخ جمعة لم يكتفِ بمجالستهم، بل زاد على ذلك بترويج كلامهم، وبثّه في قناته، مؤصّلاً بذلك لقاعدة خطيرة، تهدم أصلاً من أصول السلف، وتلبّس على الناس ما وضّحه السلف وبيّنوه في مئات النصوص والآثار .

ولم نجد أبلغ من ردٍّ على كلام الشيخ جمعة الأول إلا كلامه هو نفسه؛ فقد قال ما يُناقض فعله هذا، ويُبطل مزاعمه تلك:

من صاحب أهل البدع، وجلس معهم، وكره الكلام فيهم، أو اعتذر لهم، فإنه يُلحق بهم. كما قال ابن مسعود: "إنما يماشي الرجل ويصاحب من يحبه ومن هو مثله". وقال أيضًا: "المرء خدنه (يعني صاحبه)".

وقال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن يقتدي

١- منقول من موقع ميراث الأنبياء: اللقاء الحادي والأربعون من لقاءات طلبة العلم مع فضيلة الشيخ مُحَمَّد بن هادي المدخلي، والذي كان يوم الأحد ٢٣ جمادى الثانية عام ١٤٣٦هـ.

وفي الأمثال السائرة: "الطيور على أشكالها تقع". ولهذا قال الأوزاعي أيضًا: "من ستر علينا بدعته، لم تخفَ علينا ألفته". وقال أحمد: "إذا سلّم الرجل على المبتدع، فهو يحبّه". وقال مُحَمَّد بن عبيد: "يتكاتم أهل الأهواء كل شيء، إلا التآلف والصحبة".

وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد، فذُكر للإمام أحمد بن حنبل، فقال: "انظروا على من ينزل، وإلى من يأوي. فمن نزل عنده، آواه إليه، فألحقه به". فإذا رأيت أهل البدع ينزلون عند الناس، فاعرف أن هؤلاء الناس هم تبع لأهل البدع .

وقال أبو داود السجستاني: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: "أرى رجلاً من أهل البيت مع رجل من أهل البدع، أأترك كلامه؟" قال: "لا. أوتعلِمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه، وإلّا فألحقه به".

وإنما نُهوا عن مجالسة أهل البدع، لأن في مجالستهم تكثيرًا لسوادهم، وصرفًا لوجوه الناس إليهم، فيعتقدون فيهم الصلاح والفضل، فيُفضي ذلك إلى اتباع بدعتهم. وأيضًا: الشبهات خطّافة، والقلوب ميّالة، والسلامة مطلوبة. فالسلامة... السلامة، ولا تكون السلامة إلا بترك مجالستهم ومجانبتهم.

وفيه أيضًا إقرار لما هم عليه من البدع، فمجالستهم إقرار مما هم عليه من البدع، فيزدادون إصرارًا وتمسكًا ببدعتهم، بخلاف هجرهم وترك مجالستهم، فإن فيه تضييقًا لدائرتهم، وتبكيتًا، وفضحًا لهم أمام الناس

ليحذروهم. ولهذا جاءت الآثار عن السلف في ذم البدع، والتحذير من أهلها، والأمر بهجرهم.

رُوي أن رجلاً من بني تميم، يُقال له "صبيغ"، قدم المدينة، فكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فبعث إليه، وقد أعد له عراجين من نخل، فلما دخل عليه، جلس، فقال عمر ﷺ: "من أنت؟ "

فقال: "أنا عبد الله صبيغ" –كالمستهزئ – .

فقال: "وأنا عبد الله عمر". ثم أهوى إليه، فجعله يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجّه، وجعل الدم يسيل على وجهه .

فقال صبيغ: "حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجده في رأسي ."

وفي رواية: "أمر به، فضُرب مائة سوط، ثم جعله في بيت، حتى إذا بَرِئ دعى به، ثم ضربه مائة سوط أخرى، ثم حمَله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يُحرِّم عليهم مجالسة الناس. فلم يزل صبيغ وضيعًا في قومه بعد أن كان سيدًا فيهم".

وهكذا كل من يترك النهج الواضح، يصير حاله كحال صبيغ: يكون سيدًا في قومه، ولكنه "من يَخن يُهن، وإذا خان هان".

وابن عمر، لما سُئل عن القدرية، قال: "فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني ..."

وقال عبد الله بن مسعود: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم ..."

وقال ابن عباس: "لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب".

وقال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، ويُلبسوا عليكم في الدين بعض ما لُبس عليهم".

وهكذا كل من خالط أهل البدع، وخالط المخالفين، وارتعى في مواقعهم وقنواتهم، إلا ابتُلي بتلقين شبهاتهم، لأن القلوب ميّالة، والشبهات خطّافة. ومن اجتنب الحمى فقد استبرأ لدينه وعِرضه.

وقال الفضيل: "اتبع طرق الهدى، ولا يضرّك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين".

وقال: "من جلس إلى صاحب بدعة، فاحذروه ..."

وقال: "إذا رأيت مبتدعًا في طريق، فخُذ في طريق آخر. ولا يُرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل. ومن أعان صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام ..."

وكان طاووس جالسًا، وعنده ابنه، فجاء رجل من المعتزلة، فتكلّم في شيء، فأدخل طاووس إصبعيه في أذنيه، وقال: "يا بني، أدخل إصبعيك في أذنيك، لا تسمع من قوله شيئًا، فإن القلب ضعيف". ثم قال: "أي بني، أسدد ."فما زال يقول: "أسدد"، حتى قام الآخر .

وكان رجل يختلف إلى إبراهيم النخعي، فبلغ إبراهيم أنه قد دخل في الإرجاء، فقال له إبراهيم: "إذا قُمت من عندنا، فلا تعُد"...

ودخل رجل على ابن سيرين، ففتح بابًا من أبواب القدر، فتكلم، فقال ابن سيرين: "إما أن تقوم، وإما أن نقوم". اهـ.[1]

وما هذا إلا دليل على وضوح السبيل عند أولئك الأئمة، في المفاصلة مع أهل البدع، والتبري من مجالستهم، وعدم القبول بأن يُفتح لهم باب في المجالس الخاصة فضلاً عن المنابر العامة .

ولكن إن تعجب فعجب ممن اختار هذه النقول البليغة، وساقها في معرض الانتصار للسنة، لم يلبث أن وقع فيما يُضادها وينقضها، فكان بذلك: قد نقض ما خطّه بيمينه، وخالف ما طالما دعا إليه بلسانه، فوقع في عين ما حذّر منه، ولبِس لَبوس من كان يَديُنُهم، لا فرق بين فعله وفعلهم، إلا أنّه زاد عليهم بتلبيس المنهج، وتأصيل المسلك، وتزيين الصورة، فسوّى بين الحق والباطل، وقرّب بين السنة والبدعة، فخاب المسعى، واشتد الخطب، واتسع الخرق على الراقع، وفتح على الناس باب فتنة عريضة لا تكاد تُسد، ولا يُؤمن عاقبتها، والله المستعان.

١- مقطع صوتي: خطر مصاحبة أهل الأهواء ومجالستهم للشيخ عبد المجيد جمعة (إضغط هنا).

ثم لم يكتف الشيخ جمعة بذلك، بل زاد في التلبيس والتهويل حين انتقل إلى مسألة الإجازات، ليصرف النظر عن أصل الإشكال الذي نُوقش، ويوهم القارئ أن الشيخ لزهر يعترض على أصل الإجازة أو على فضل أئمة نجد، فقال: "فهل هؤلاء أعلام نجد الذين قطعوا الفيافي والقفار وركبوا الأخطار في البراري والبحار لجمع أسانيد الأحاديث والآثار، رحلوا من نجد إلى الهند لأجل أخذ شهادة الزور!؟"[1]، ثم سرد أسماء بعض العلماء على وجه التقديس، وكأن الاعتراض موجّه إلى هؤلاء، لا إلى واقعٍ محدث تفشّت فيه المخالفات، واستُخدمت فيه الإجازة وسيلةً لتمرير العلاقات المشبوهة، والتقريب بين أهل السنة وأهل البدعة.

وهذا في الحقيقة لونٌ آخر من ألوان التلبيس، يُضاف إلى ما سبق بيانه من المخالفات، ويزيد الأمر اضطرابًا ولبسًا، إذ يُصرف به النظر عن الأصول السلفية المحكمة، نحو قضايا جزئية فرعية، يُراد من ورائها تلميع الواقع، وتجميل صور الانحراف، وصرف الأنظار عن التجاوزات الحقيقية التي نُوقشت، إلى سِيَر رجالٍ لا خلاف في فضلهم، ولا مطعن في علمهم، ولا علاقة لهم أصلاً بموضع النزاع .

ومع ذلك، فإننا نقرّ بجملة ما أورده الشيخ جمعة من مدح سلفنا الصالح، وإبراز عنايتهم بالسند والرواية، وتقديرهم لشرف الإجازة، وتطلبهم لها بالرحلة والمشافهة. وهذه المعاني من أنبل ما توارثه أهل العلم جيلاً بعد

١- الروض الأزهر للشيخ جمعة [حـ٣/ص٦].

جيل، حيث لم يكن العلم يُؤخذ من الصحف، ولا يُنال بتراكم الإجازات، بل كان يُلتمس بالملازمة، ويُطلب بالمجالسة، وتُعرف مكانة الطالب بطول الصحبة، وغزارة الفهم، ودقة التلقي[1].

وكانت الإجازة في ذلك الزمان بمثابة خاتم يُوضع على يد من استحق، بعد أن يشهد له العلماء بأنه بلغ مبلغًا يُؤهله لحمل العلم وأدائه، لا مجرد ورقة تُعطى لمن استوفى الرحلة، أو تحصّل على تزكية عابرة.

وقد أشار العلماء إلى علوّ هذا الأصل وشرفه، فجعلوا الرحلة في طلب العلم، ولقاء الأكابر، من دلائل صدق الإرادة وصفاء القصد، كما في قول الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره لقصة موسى مع الخضر: "فلما سمع موسى هذا تشوَّفت نفسه الفاضلة، وهمَّته العالية لتحصيل علم مالم يعلم، وللقاء من قيل فيه :إنه منك أعلم، فعزم، فسأل سؤال الدَّليل كيف السبيل؟ فأُمر بالارتحال على كل حال، وقيل له :احمل معك حوتًا مالِحًا في مِكتل، وهو الزنبيل، فحيث يحيا، وتفْقِده فثمَّ السبيل، فانطلق مع فتاه لِمَا واتاه، مجتهدًا طالبًا قائلًا: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾"[2].

١- قال الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله تعالى– في حلية طالب العلم [ص١٥٨]: الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمثافنة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق، وهو المعلم أما الثاني عن الكتاب، فهو جماد، فأنى له اتصال النسب؟

٢- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج [٣٨/٢٣٣].

فهكذا كانت الإجازة في ذلك الزمان: شهادة نابعة من المعايشة والملازمة، ومبنية على المعرفة الحقيقية بحال الطالب، لا علاقة لها بالتساهل في التزكيات، ولا بمواسم التوزيع الجماعي.

وهذا المعنى الجليل هو ما دافع عنه علماء السلفية في هذا العصر، ومنهم الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي –رحمه الله تعالى– ، الذي كشف بعين العالم السلفي الناقد حال أولئك الذين اتخذوا الإجازة غاية بدل أن تكون وسيلة، فقال – رحمه الله تعالى–:

وهمّه وهمّ أمثاله من مجانين الرواية حفظ الأسانيد، وتحصيل الإجازات، ومكاتبة علماء الهند والسند للاستجازة... فإذا عجز عن الرحلة كتب مستجيزًا، فيأتيه علم الحديث بل علوم الدين والدنيا كلها في بطاقة! أهذا هو العلم؟ لا والله. وإنما هو شيء اسمه جنون الرواية. اهـ (بتصرف) [1]

١– قال الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي –رحمه الله تعالى– في أثاره [٣/٥٤٥]: وعبد الحي محدّث بمعنى آخر، فهو "راوية" بكل ما لهذه الكلمة من معنى. تتصل أسانيده بالجن والحن ورتن الهندي وبكل من هبّ ودبّ. وفيه من صفات المحدّثين أنه جاب الآفاق، ولقي الرجال، واستوعب ما عندهم من الإجازات بالروايات، ثم غلبت عليه نزعة التجديد فأتى من صفات المحدَثين (بالتخفيف) بكل عجيبة، فهو محدّث محدِث في آن واحد؛ وهمّه وهمّ أمثاله من مجانين الرواية حفظ الأسانيد، وتحصيل الإجازات، ومكاتبة علماء الهند والسند للاستجازة، وأن يرحل أحدهم فيلقى رجلًا من أهل الرواية في مثل فواق الحالب، فيقول له: أجزتُك بكل مروياتي ومؤلفاتي إلى آخر (الكليشي)؛ فإذا عجز عن الرحلة كتب مستجيزًا فيأتيه علم الحديث بل علوم الدين والدنيا كلها في بطاقة... أهذا هو العلم !؟ لا والله. وإنما هو شيء اسمه جنون الرواية.

ففي هذه الواقعة صورة جليّة من صور التلاعب بالإجازات، بيّنها الشيخ البشير الإبراهيمي –رحمه الله تعالى–كما رآها في عصره، حيث تحوّل التعلّق بالإجازات إلى غاية في ذاته، وغلب عليه الطابع الشكلي، ففقد جوهره العلمي، وخرج عن كونه وسيلة للتحصيل إلى مجرد مباهاة مظهرية، وانتقال صوري للعلم .

وقد ثبّت الإمام الإبراهيمي موقفه العملي من هذا الانحراف حين ذكر لقاءه بالشيخ يوسف النبهاني، فقال الشيخ الإبراهيمي–رحمهما الله تعالى–:

فسلّمت عليه فقال لي: سمعت آنفًا درسك في الشمائل، وأعجبني إنحازك باللوم على مؤلّفي السيَر في اعتنائهم بالشمائل النبوية البدنية، وتقصيرهم في الفضائل الروحية، وقد أجزتُك بكل مؤلّفاتي ومروياتي وكل مالي من مقروء ومسموع من كل ما تضمّنه ثبتي ... إلخ.

فقلت له: أنا شاب هاجرت لأستزيد علمًا وأستفيد من أمثالكم ما يكملني منه، وما أرى عملكم هذا إلا تزهيدًا لنا في العلم، وماذا يفيدني أن أروي مؤلفاتك وأنا لم أستفد منك مسألة من العلم؛ ولماذا لم تنصب نفسك لإفادة الطلّاب، فسكت. [1]

وإذا كانت هذه الانحرافات قد ظهرت في زمن الإبراهيمي، ووجد من العلماء الربانيين من أنكرها وكشف عوارها، فإنها في زماننا أشد تفشيًا،

١– آثار الإمام البشير الإبراهيمي [٣/٥٤٦–٥٤٧].

وأخطر أثرًا، لا سيما مع ما أتيح من الوسائل الحديثة التي سهلت تداول الإجازات، وأخرجتها – في كثير من صورها – عن ضوابط العلم والتحصيل.

وكان الأولى بالشيخ عبد المجيد جمعة – وهو يعظّم هذا المسلك السلفي – أن يُنكر ما جرى به العمل اليوم من صور محدثة، تُخالف تلك المعاني الشريفة، وتُجافي طريقة السلف في التحصيل والتلقي.

إذ الواقع الذي دافع الشيخ جمعة عنه ونافح، يشهد بتبدّل الحال، وتحول الإجازة – في كثير من صورها المعاصرة – إلى مجرد وثائق تُنال عبر وسائل لا تعرف ملازمة، ولا تشترط ضبطًا، ولا تُبنى على معرفة حال الطالب، بل تعتمد على التسجيل الإلكتروني، والحضور الشكلي، والاعتماد على الشبكة العنكبوتية. وقد يحصل الطالب على الإجازة دون سماع ولا أداء، إذ يُدرج اسمه في قائمة الحضور، ثم ينصرف، ومع ذلك تُمنح له الشهادة[1]!

وهذا من جنس التزوير والغش، إذ يُنسب إلى رواية ما لم يسمعه، وفي ذلك من التلبيس والتضييع لحرمة العلم ما لا يخفى. وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «من حدَّثَ عنِّي حديثًا وَهوَ يرى أنَّهُ كذِبٌ فَهوَ أحدُ الكاذِبينَ»[2].وليس هذا أمرًا جديدًا، بل كان أئمة العلم عبر العصور يتحرّون صدق النقل، ويشدّدون على حرمة الإجازة من غير سماع أو ضبط، بل عدّوا

١- انظر في المرفقات [الصورة: ٢/ص٢٢].

٢- أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح [٨/١]. ، والترمذي [٢١٦٦٢] واللفظ له.

ذلك كذبًا محرمًا وشنيعًا. فقد نُقل عن جمع من الأئمة الكبار كإبراهيم الحربي، وأبي نصر الوائلي، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، وكذلك فقهاء الشافعية والحنفية والمالكية، تأكيدهم على بطلان الإجازة بلا سماع وضبط، واعتبر ابن حزم ذلك بدعة محرّمة. [1]

فإذا كانت هذه هي الصورة الواقعية التي وقعت فيها المخالفات، وكانت هي محل النقاش والنقد، فكيف يُسوّغ صرف الأنظار عنها إلى مدح السلف وثنائهم، وإيهام القارئ أن الاعتراض موجّه إليهم!؟ أليس في هذا تلبيسٌ يُفضي إلى تبرير الباطل بذكر الحق، وتجميل المحدثات بلبوس السُّنة؟

بل صارت الإجازة اليوم – في كثير من صورها – شهادة زور [2] تُمنح بدلاً من أن تُكتسب، وتُعطى لمن لا يُستحق، بلا ملازمة ولا ضبط، ولا معرفة بحال الطالب، بل أحيانًا بلا سماع أصلاً.

١- قال الشيخ مُحَمَّد آدم الأثيوبي -رحمه الله تعالى- في شرحه لألفية السيوطي [١/٤٠٥]: بعد أن نقل اختلاف العلماء فيمن لا يروى عنهم: أي الإجازة وهو قول جماعة من المحدثين كشعبة، قال: لو جازت الإجازة لبطلت الرحلة، وإبراهيم الحربي، وأبي نصر الوائلي، وأبي الشيخ لأصفهاني، والفقهاء :كالقاضي حسين، والماوردي، وأبي بكر الخجندي الشافعي، وأبي طاهر الدَّبَّاس الحنفي.وعنهم أن من قال لغيره أجزت لك أن تروي عني ما لم تسمع فكأنه قال أجزت لك أن تكذب عليَّ، لأن الشرع لا يبيح رواية ما لم يسمع وهي إحدى الروايتين عن الشافعي.وحكاه الأمدي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ونقله القاضي عبد الوهاب عن مالك.وقال ابن حزم إنها بدعة غير جائزة.وقيل :إن كان المجيز والمجاز عالمين بالكتاب جاز، وإلا فلا. واختاره أبو بكر الرازي الحنفي.

٢- المصدر السابق.

وإنّ من أعظم الخطر أن يُلبَّس هذا الواقع لباس السلف، وأن يُدافع عنه باسمهم، وتُحشر أسماؤهم في معركةٍ لا ناقة لهم فيها ولا جمل، سوى أنهم صاروا جسرًا يُراد العبور عليه لتبرير انحرافٍ واقع، وسلوكٍ دخيل، ما أنزل الله به من سلطان .وإن هذا المسلك الذي سلكه الشيخ جمعة – في تلبيسه لمسلك السلف، وإقحامه لِسِيَر الأئمة الأعلام في مقام لا يليق بهم – لَهو من أبين صور الخلط والتغليط؛ إذ يُراد من ورائه التعمية على موطن الخلل، وتزيين الانحراف بذكر الصالحين، وتسويغ المسالك المحدثة بزخرف القول عن الأوائل المهتدين. فيُجمَّل الباطل بذكر الحق، وتُستر المخالفات بمدح العلماء، وتُصرف الأنظار عن الواقع الفاسد بحديث السند والمرويات .

والأعجب من هذا كله، أن هذا الواقع المحدث الذي يُنافَح عنه اليوم، كان بالأمس مما يُستنكر ويُحذّر منه! فقد عُرف عن الشيخ جمعة – في مجلس له بمدينة بسكرة منذ سنوات – أنه لما سُئل عن الشيخ صالح العصيمي، عدّ من جملة ما يُؤخذ عليه – هو وبعض المشايخ – تساهله في الإجازات[1] .

وهذا تناقض صارخ، وانقلاب فجّ للمعايير، وانحراف واضح عن مبادئ العدل والإنصاف، حيث صار من المسموح لنفسه ما يُمنع على غيره، والحق لا يُكيّف حسب الأشخاص والأهواء، بل هو ثابت لا يتغير .وإذا وصل التبرير إلى هذا المستوى، فقد فسد ميزان العدل، وضاعت موازين الحق

١– انظر إلى التوضيح والتسديد في الرد على عبد المجيد – للأخ وسيم قاسيمي البسكري.

والإنصاف، فلا يُبرَّر المنكر بذكر المعروف، ولا يُدفع النقد العلمي الصريح بلفّ وتلطيف لا يحمل من الحجة شيئًا.

وخلاصة القول: إن ما أقدم عليه الشيخ جمعة هو من أبين مظاهر الانحراف عن الجادّة، إذ لُبِّس فيه الباطل لباس الحق، واستُدعي فيه منهج السلف لتبرير مسلك محدث دخيل، فصار الحق سُلَّمًا للباطل، والسنة جسرًا تمرّ عبره البدعة، حتى غُرِّر بالناس تحت شعارات الورع والاتباع، وهي في حقيقتها أستار تُخفي وراءها مخالفة ظاهرة لما كان عليه الأوائل. وذلك مما يُخشى على سالكه أن يُغلق عليه باب التراجع، ويصدّه عن مراجعة النفس وردّ الحق إلى نصابه، فيتمادى في التبرير، ويُضفي على فعله صبغة الشرع، وهو في حقيقته مما أنكروه على غيرهم .ولا أدلّ على هذا المسلك من وصف النبي ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يبغضُ البليغَ منَ الرّجال ، الذي يتخلّلُ بلسانِهِ ، كما تتخلّلَ البقرةُ بلسانِها»، ذمًّا لمن يُزيّن القول بالزخرف، ويُظهر البلاغة لستر الزلل، وترويج ما لا يقوم عليه برهان.

والعلم عند الله تعالى، وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبِه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا.

...يُتبع، بإذن الله تعالى.

١- أخرجه أبو داود (٥٠٠٥) واللفظ له.

المرفقات :

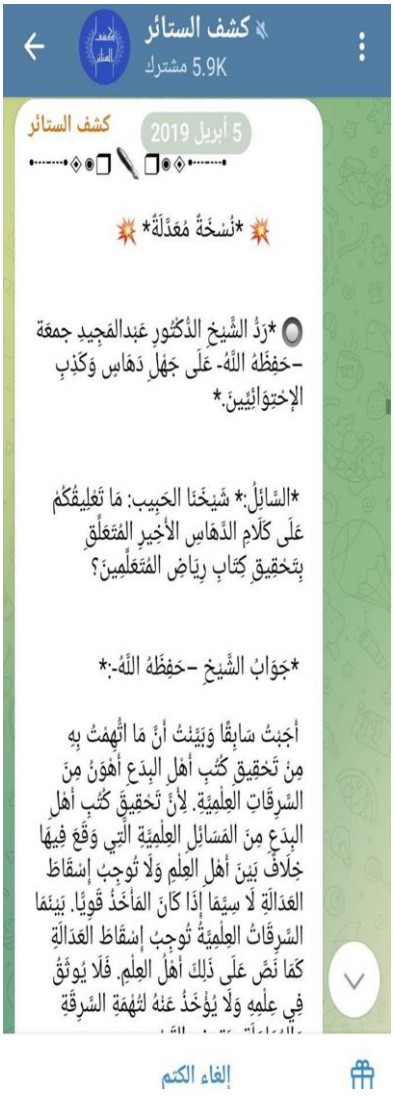
كشف الستائر
5.9K مشترك
كشف الستائر
5 أبريل 2019
نُسْخَةٌ مُعَدَّلَةٌ
رَدُّ الشَّيخِ الدُّكتُورِ عَبدالمَجِيدِ جمعَة -حَفِظَهُ اللَّهُ- عَلَى جَهْلِ دَهَاسٍ وَكَذِبِ الإخْتِوَائِيِّينَ.
السَّائِلُ: شَيخَنَا الحَبِيب: مَا تَعْلِيقُكُمْ عَلَى كَلَامِ الدَّهَاسِ الأَخِيرِ المُتَعَلِّقِ بِتَحْقِيقِ كِتَابِ رِيَاضِ المُتَعَلِّمِينَ؟
جَوَابُ الشَّيخِ -حَفِظَهُ اللَّهُ-:
أَجَبْتُ سَابِقًا وَبَيَّنْتُ أَنَّ مَا اتُّهِمْتُ بِهِ مِنْ تَحْقِيقِ كُتُبِ أَهْلِ البِدَعِ أَهْوَنُ مِنَ السَّرِقَاتِ العِلْمِيَّةِ. لِأَنَّ تَحْقِيقَ كُتُبِ أَهْلِ البِدَعِ مِنَ المَسَائِلِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا خِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ وَلَا تُوجِبُ إِسْقَاطَ العَدَالَةِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ المَأْخَذُ قَوِيًّا. بَيْنَمَا السَّرِقَاتُ العِلْمِيَّةُ تُوجِبُ إِسْقَاطَ العَدَالَةِ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ العِلْمِ. فَلَا يُوثَقُ فِي عِلْمِهِ وَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ لِتُهْمَةِ السَّرِقَةِ
إلغاء الكتم

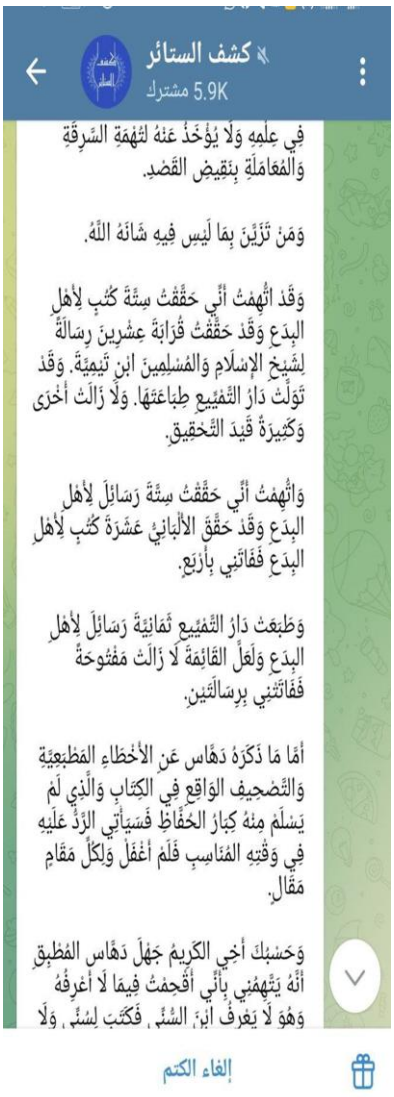
كشف الستائر
5.9K مشترك
فِي عِلْمِهِ وَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ لِتُهْمَةِ السَّرِقَةِ وَالمُعَامَلَةِ بِنَقِيضِ القَصْدِ.
وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيسَ فِيهِ شَانَهُ اللَّهُ.
وَقَدِ اتُّهِمْتُ أَنِّي حَقَّقْتُ سِتَّةَ كُتُبٍ لِأَهْلِ البِدَعِ وَقَدْ حَقَّقْتُ قُرَابَةَ عِشْرِينَ رِسَالَةً لِشَيخِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ ابْنِ تَيمِيَّةَ. وَقَدْ تَوَلَّتْ دَارُ التَّمْيِيعِ طِبَاعَتَهَا. وَلَا زَالَتْ أُخْرَى وَكَثِيرَةٌ قَيدَ التَّحْقِيقِ.
وَاتُّهِمْتُ أَنِّي حَقَّقْتُ سِتَّةَ رَسَائِلَ لِأَهْلِ البِدَعِ وَقَدْ حَقَّقَ الأَلْبَانِيُّ عَشَرَةَ كُتُبٍ لِأَهْلِ البِدَعِ فَفَاتَنِي بِأَرْبَعٍ.
وَطَبَعَتْ دَارُ التَّمْيِيعِ ثَمَانِيَةَ رَسَائِلَ لِأَهْلِ البِدَعِ وَلَعَلَّ القَائِمَةَ لَا زَالَتْ مَفْتُوحَةً فَفَاتَتْنِي بِرِسَالَتَيْنِ.
أَمَّا مَا ذَكَرَهُ دَهَّاس عَنِ الأَخْطَاءِ المَطْبَعِيَّةِ وَالتَّصْحِيفِ الوَاقِعِ فِي الكِتَابِ وَالَّذِي لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ كِبَارُ الحُفَّاظِ فَسَيأْتِي الرَّدُّ عَلَيْهِ فِي وَقْتِهِ المُنَاسِبِ فَلَمْ أُغْفِلْ وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ.
وَحَسْبُكَ أَخِي الكَرِيمُ جَهْلَ دَهَّاسٍ المُطْبِقِ أَنَّهُ يَتَّهِمُنِي بِأَنِّي أَقْحَمْتُ فِيمَا لَا أَعْرِفُهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ابْنَ السُّنِّي فَكَتَبَ لِسُنِّي وَلَا
إلغاء الكتم

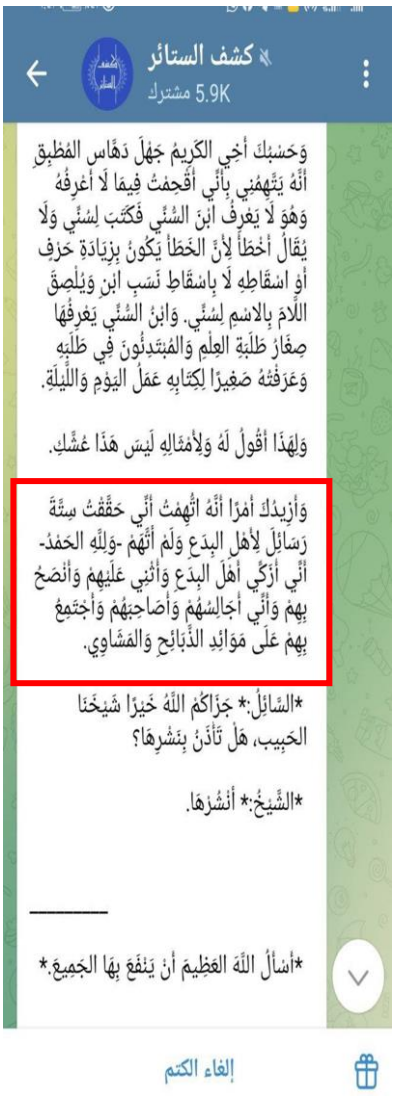
كشف الستائر
5.9K مشترك
وَحَسْبُكَ أَخِي الكَرِيمُ جَهْلَ دَهَّاسٍ المُطْبِقِ أَنَّهُ يَتَّهِمُنِي بِأَنِّي أَقْحَمْتُ فِيمَا لَا أَعْرِفُهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ابْنَ السُّنِّي فَكَتَبَ لِسُنِّي وَلَا يُقَالُ أَخْطَأَ لِأَنَّ الخَطَأَ يَكُونُ بِزِيَادَةِ حَرْفٍ أَوْ إِسْقَاطِهِ لَا بِإِسْقَاطِ نَسَبِ ابْنِ وَيُلْصِقَ اللَّامَ بِالاسْمِ لِسُنِّي. وَابْنُ السُّنِّي يَعْرِفُهَا صِغَارُ طَلَبَةِ العِلْمِ وَالمُبْتَدِئُونَ فِي طَلَبِهِ وَعَرَفْتُهُ صَغِيرًا لِكِتَابِهِ عَمَلُ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.
وَلِهَذَا أَقُولُ لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ لَيسَ هَذَا غُشُّكِ.
وَأَزِيدُكَ أَمْرًا أَنَّهُ اتُّهِمْتُ أَنِّي حَقَّقْتُ سِتَّةَ رَسَائِلَ لِأَهْلِ البِدَعِ وَلَمْ أَتَّهِمْ -وَلِلَّهِ الحَمْدُ- أَنِّي أُزَكِّي أَهْلَ البِدَعِ وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ وَأَنْصَحُ بِهِمْ وَأَنِّي أُجَالِسُهُمْ وَأُصَاحِبُهُمْ وَأُجْتَمِعُ بِهِمْ عَلَى مَوَائِدِ الذَّبَائِحِ وَالمَشَاوِي.
السَّائِلُ: جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيرًا شَيخَنَا الحَبِيب، هَلْ تَأْذَنُ بِنَشْرِهَا؟
الشَّيخُ: أَنْشُرْهَا.

أَسأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الجَمِيعَ.
إلغاء الكتم

١

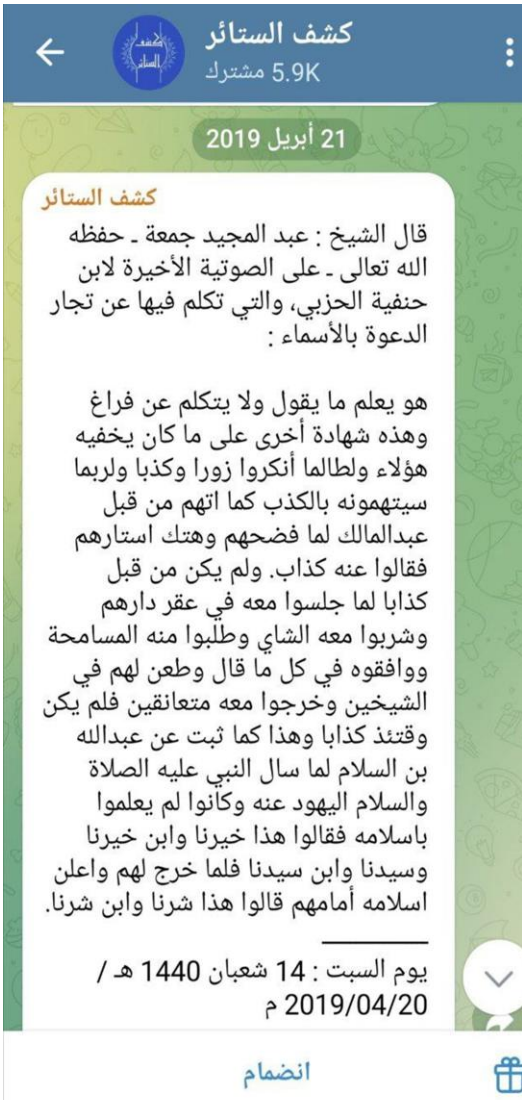
كشف الستائر
5.9K مشترك
21 أبريل 2019
كشف الستائر
قال الشيخ : عبد المجيد جمعة ـ حفظه الله تعالى ـ على الصوتية الأخيرة لابن حنفية الحزبي، والتي تكلم فيها عن تجار الدعوة بالأسماء :
هو يعلم ما يقول ولا يتكلم عن فراغ وهذه شهادة أخرى على ما كان يخفيه هؤلاء ولطالما أنكروا زورا وكذبا ولربما سيتهمونه بالكذب كما اتهم من قبل عبدالمالك لما فضحهم وهتك استارهم فقالوا عنه كذاب. ولم يكن من قبل كذابا لما جلسوا معه في عقر دارهم وشربوا معه الشاي وطلبوا منه المسامحة ووافقوه في كل ما قال وطعن لهم في الشيخين وخرجوا معه متعانقين فلم يكن وقتئذ كذابا وهذا كما ثبت عن عبدالله بن السلام لما سال النبي عليه الصلاة والسلام اليهود عنه وكانوا لم يعلموا باسلامه فقالوا هذا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فلما خرج لهم واعلن اسلامه أمامهم قالوا هذا شرنا وابن شرنا.
يوم السبت : 14 شعبان 1440 هـ / 2019/04/20 م
انضمام

٢

قناة الاستقامة
15K مشترك
رسالة مثبتة
#تنبيه_مهم أنا لا آذن لأحد أن...
الآن مباشر
4:03
إستمارة شرح العقيدة الطحاوية
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
رجاءا التسجيل في هذه الإستمارة لمن سمع مجالس شرح العقيدة الطحاوية
تنبيه
1 التسجيل مرة واحدة بارك الله فيكم
2 تغلق الإستمارة غداً إن شاء الله تعالى
3 تفتح بعد نهاية المجلس الختم
إلغاء الكتم